الاتحاد السوفياتي ومنظمة التحرير الفلسطينية (١٩٦٤ ـ ١٩٧٠)

د. نبيل حيدري

لم يكن هناك ردّ فعل قوي من جانب الاتحاد السوفياتي على قيام منظمة التحرير الفلسطينية، في أيار (مايو) ١٩٦٤، ولم تجر موسكو، حينئذٍ، أي تعديل يذكر في موقفها السابق من النظر الى القضية الفلسطينية، والقائم، اجمالاً، على اعتبارها قضية تعويض اللاجئين المترافق مع عودتهم الى ديارهم، أو من دون عودتهم اليها، دون ان تعترف بقومية اللاجئين، أو بهويتهم، أو بحقوقهم الوطنية. وظلّ الموقف السوفياتي بالغ الخصوصية في حدّته؛ فقد قصر حتى عن اعتبار القضية الفلسطينية قضية لاجئين مشروعة، قائلاً، في هيئة الامم المتحدة، في العام ١٩٤٨، ان بريطانيا هي التي خلقت، في الواقع، هذه المشكلة[١].

وبشكل تدريجي، ظهر بعض التعديل الهامشي لهذا الموقف، حين قام الرئيس المصري، جمال عبدالناصر، بزيارة لموسكو، في العام ١٩٥٨، وارتضى السوفيات، من جهتهم، ان يتضمّن البيان المشترك عبارة تذكر «الحقوق المشروعة لعرب فلسطين»[٢]. كما ان الزعيم السوفياتي، نيكيتا خروشوف، في اثناء زيارته للقاهرة، في أيار (مايو) ١٩٦٤، اعترف بالحقوق المشروعة والثابتة للشعب الفلسطيني[٣]. ومع ذلك، كان الاهتمام السوفياتي بالمشكلة الفلسطينية مركّزاً على كارثة اللاجئين وبؤسهم، أكثر من تركيزه على مطالب الحركة الوطنية التحررية[٤].

وهكذا عندما تشكّلت منظمة التحرير الفلسطينية، في العام ١٩٦٤، وقف الاتحاد السوفياتي موقفاً محايداً، وكأن الامر لا يعنيه من قريب، أو من بعيد. ولئن عُقدت لقاءات بين ممثلين من المنظمة وبعض المسؤولين السوفيات، فان هذه اللقاءات كانت تتمّ بصورة سرية جداً، ولم تكن ترمي، بحال، الى اعتراف رسمي بالمنظمة من جانب الاتحاد السوفياتي[٥]، الامر الذي دفع رئيس المنظمة الوليدة، احمد الشقيري، الى التصريح بأن مبادرته للتقرّب من موسكو تمّ صدها، ممّا لم يترك لديه خياراً آخر سوى الالتفات الى الصين الشعبية، التي استجابت، آنذاك، بشكل ايجابي وعملي، لمطالب المنظمة[٦].

وعلى الرغم من محاولة الشقيري اللعب بـ «الورقة الصينية»، فانه كان طامحاً الى ارساء علاقة ما مع الاتحاد السوفياتي. قال عن نفسه، في هذا الخصوص: «مضيت في ركب السوفيات، أحارب حربهم ولا أسالم سلمهم»[٧]. وكي يتحقق له ذلك، دَعَم المواقف السوفياتية ضد الولايات المتحدة الاميركية كممثل للوفد السوري في هيئة الامم المتحدة، في كل قضية، مدركاً ان موسكو، علاوة على قوتها بالقياس الى الصين، فانها، بخلاف بكين، عضو في المنظمة الدولية، وطرف رئيس في الصراع